الفصل الثالث

التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الأطفال والتقدم التكنولوجي

الشاغر الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي

(المسرحية .....رؤية مستقبلية)

فاتحة:

برغم أهمية أدب الطفل بصفة عامة ، ثقافيا وتربويا ونفسيا وذوقيا ، وضرورته في تكوين رجل الغد ، فإن للمسرحية دورا متميزا في نشأة هذا الطفل وتكوينه ، لأن المسرح مجمع فنون كما يقال ، وما يقدم للأطفال في هذا المجال للتمثيل أو القراءة ، يجب أن يواكب متغيرات الحياة حتى يسمح للطفل في مراحل حياته بأن ينمو ويتطور ويتقدم ، ويعيش حاضره ، ويتطلع إلى مستقبله ، دون أن يغفل ماضيه . من ثم يشير هذا البحث إلى أهم المتغيرات التكنولوجية التي يجب أن يتكيف معها الطفل ، كما يبحث في المواصفات التي يمكن أن تتحقق في مسرحية أدب الطفل كي تهيئه لهذا التكيف ، ويحقق المهام المنوطة به مستقبلا ، في

ضوء هذه المتغيرات ، ثم نقوم بالإشارة إلى بعض النصوص الأدبية للطفل فى هذا المجال ، ونحلل أحدها للكشف عن الخصائص التى تجعل المسرحية مهمة فى تكيف الطفل وتلاؤمه مع هذه المتغيرات التكنولوجية ، وقد تحقق فى هذه النصوص بعض المواصفات المرجوة لعلها تكتمل فيما يقدم من نماذج أدبية بعد ذلك .

من مظاهر التقدم التكنولوجي :

نحن فى عصر الفضائيات ، حيث تتزاحم الأفكار وتتصارع الشعوب وتتنافس الأجيال وتتواصل ، ومنا أعظم سطوة اليد العليا فى هذا المجال ، وهى تمتلك التقنية والوسيلة والخطاب ، ومن يملكها فقد سيطر ، حقا هناك قنوات فضائية عربية ، لكنها تمتلك الوسيلة دون التقنية أو الخطاب ، بحيث أصبح المالك الحقيقي للنظرية والتطبيق هو الموجه الفاعل فيما تقدمه الفضائيات العربية لأطفالنا ، فاجتذبتهم المسلسلات الأجنبية ، والبرامج المستوردة ، وهى إذا كانت فى غالبها تعنى بالجانب الترفيهي كما هو مشاهد فى عالمنا العربي والإسلامي ، فإنما تحركها خلفيات ، ذات آثار

سلبية غالبا ، خاصة على هؤلاء الأطفال ، لأن باثها يبتغي من ورائها آثارا ملموسة على المشاهد ، طبقا لأعرافه وتقاليده ومقوماته ، بما يضمن للسوبرمان الأمريكي التفوق المطلق ، وما يحققه للنموذج الياباني من القفز في مجال العمل والنشاط والاختراع ، ويؤكد للمثال الأوروبي التفوق المثالي الفني ، " وتؤكد عدد الدراسات والبحوث ، وبالأخص تلك التي تعدها اليونسكو على أن التلفزات العربية تستورد من الدول الأجنبية وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ما بين ٤٠% ، ٦٠% من مجموع البرامج التي تروج ضمن هذه التلفزات " وربما أكثر (٣ :١١٤، ٢٣٢)(*)

وفي الوقت نفسه سوف نجد أن الإنتاج المحلى للبرامج التلفزيونية لدينا يتراوح بين ٥% ، ٢٠% ، إذا أدخلنا في ذلك الأخبار ونشراتها وبرامجها الخاصة ، يرجع ذلك فيما يرجع إلى " ارتفاع التكلفة بالنسبة

(*) الرقم الأول في القوس يشير إلى المصدر أو المرجع , بينما الرقم الثاني يشير إلى الصفحة وذلك بالنسبة لهذا الفصل فقط

للإنـــتاج المحلى ، مع ضعف الغلاف المالي المخصص للإنتاج ، وضعف الأسعار التي تباع بها البرامج الأجنبية (٣ : ١٤) ، وناهـــيك عن الخلفية العلمية المعرفية التي تعوزنا في هذا المجال ، بينما قد يصل موقف بعضنا إلى درجـــة الانبهار الذي يقيد ولا يدفع ، ويثبط ولا يحمس ، فيجد الإنسان نفسه جامدا والدنيا تتسارع وتتقدم .

فمـــا أكثـــر المتغيرات في عالم لا تتوقف تطوراته ، بحيث أصبح الفكر والإنسان خاضعين لعالم كبير متباين الاتجاهـــات ، فســـيح الآماد ، يموج بالمستجدات في كل لحظـــة ، لكـــنه بـــرغم ذلك قرية صغيرة ، إذ حققت له تكنولوجـــيا الاتصـــالات ، والانترنت اليوم ما يجعل في هـــذا العـــالم الكبير وحدة شاملة ، وثيقة الاتصال ، تقدم للكـــبار وللصغار مختلف ألوان الثقافات والفنون : الغث والسمين .

وبـــرغم تباين هذه الاتجاهات ، واتساع تلك الآماد ، فقـــد أصـــبحت مقاهـــي الانتـــرنت وأنديـــتها بما تقدمه من فكر وفنون عوالم متنقلة ، مع أن كثيرين مـــن البشر

المهتمين بهذه العوالم لم يتحركوا قيد أنملة فى أماكنهم التى تسمح لهم بالتجوال والانتقال عبر هذه العوالم ، وهم يجلسون أمام أجهزة الحاسوب ، يرقبونها أو يرقنونها بأطراف أناملهم إرسالا أو استقبالا ، وبذلك أصبح الأثر فى أقصى الشرق يمكن أن يكون هو نفسه، فى اللحظة نفسها فى أقصى الغرب ، مما يجعل العولمة إنذارا دائما للخضوع والاحتواء والهيمنة ، إن لم تدرك الشعوب طريقها ، وتحرص على أصالتها ، دون أن تذوب ، وتفقد خصوصيتها الحضارية والمعرفية لثقافية.

أفنتصور أمام هذه المتغيرات أن يظل طفلنا بأدبه وفكره وثقافته على ما كان عليه منذ عدة أجيال ، وهو يعيش القرن الخامس عشر الهجري ، ويتأهب للألفية الثالثة للميلاد ؟ .

المشكلة فى ضوء مراحل النمو المعرفي عند الطفل:

هذه هي القضية التى تتطلب إعادة النظر والبحث والتفكير لتهيئة هذا الطفل بفكره وأدبه وثقافته ليعيش

عالم اليوم ، بآماده الفسيحة ، ومعرفته الزاخرة ، دون أن يبتعد عن أخلاقه الإسلامية ، وأعرافه العربية ، وطوابعه الإنسانية ، مثبتا ذاته ، فاعلا في يومه وغده ، محققا قوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس .. تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله " (١ : آية ١١٠) .

إن أدب الأطفال وثقافتهم يجب أن يسهما في تنظيمهم ، وحسن تكيفهم ، وتعويدهم الإقبال على العلم والمعرفة ، وتنمية ذلك فيهم ، وغرس الحرص على الواجب والمسئولية ، والتعاون والبناء ، وكل ما يعينهم على إثبات أصالتهم وفاعليتهم في الحياة ، وتنمية دورهم الحضاري ، الخالد ، والإسلام جوهره .

ولن يتم – فيما يتم – إلا إذا أسهم أدب الطفل شعرا ومسرحية وقصة وغيرها في تقديم النماذج الملائمة لهؤلاء الأطفال عقديا وفكريا وفنيا وتربويا ولغويا وثقافيا وتعليميا ، وفق شروطهم ، وبإمكاناتهم وخصائص مراحل عمرهم (١٠: ٥٩) ، محققة لهم مزيدا من الذكاء الذي أساسه نوع من التلاؤم بين البيئة

، ومتغيراتها (٧ : ٨٦) مهما اختلفت وسيلة الاتصال تكنولوجيا ، وذلك طوال مراحل حياة الطفل التى برغم تباينها من حيث التحضير والمستوى النهائي ، لكنها تتكامل سواء على المستوى الواحد الجاري أو اللاحق ، وذلك بناء على نوعيات الشعوب التي تتم الدراسة عليها ، من حيث المستوى المعرفي الحضاري ، والبيئة ، والأسرة والنضج ، وغير ذلك من العوامل الفاعلة في هذه المراحل العمرية والعقلية .

لكن الشيء الذي يجب أن نؤكد عليه هو ثبات نظام الترتيب ، بحيث " إن طابعاً معيناً لا يظهر إلا قبل طابع آخر ، عند مجموعة من الأفراد أو بعده عند مجموعة أخرى" (٧ : ٨٨ ، ٨٩) .

وهكذا ينحصر التناسق بين الداخل والخارج ، بين الفكر والأشياء ، وبين الإنسان والعالم ، فيحقق ذاته ، ويتصدى لمشاكله ، ويرقى بمجتمعه وبيئته وعالمه ، ويحافظ على خصوصيته ، دون أن يفقد نفسه ، أمام ما تعرضه وسائل التكنولوجيا الحديثة من فكر وفن علم ، وغير ذلك من ضروب المعرفة الزاخرة .

بل إن هذا التناسق أو التفاعل بين الفرد والشيء هو الذي يحدد المعرفة ، من خلال الاستيعاب والتلاؤم كمتغيرين وظيفيين (٧ : ٨٧) ، علما بأن الاستيعاب كما يرى بياجيه(*) ، مصدر الترابط بين المواقف والأعمال والتصورات ، بينما التلاؤم مصدر التطبيق لمعطيات التجربة ونقلها من مجال إلى آخر (٧ : ٩٤)

*) ولد جان بياجيه في نوشاتل بسويسرا سنة ١٨٩٦ في أسرة تهتم بالعلم خاصة والده ، وقد اهتم بالميكانيكا والبيولوجيا والفلسفة كما اهتم بالتحليل النفسي وعلاقته بسيكولوجيا الطفل ، وقد أثر دراسة حالة الأسوياء وعمل الذهن عن الخوض في اللاوعي ، كما اهتم بالنمو المعرفي للطفل وأثر الطريقة العيادية ، ودرس المسائل الأخلاقية والدينية عند الطفل ، ومن مقالاته السيكولوجيا والقيم الدينية.

كانت له تجارب كثيرة مع الأطفال خاصة أولاده ، وبرغم اتصاله بكارل يونج لكنه لم يهتم بآراء فرويد .عمل أستاذا لتاريخ الفكر العلمي في كلية العلوم بجامعة جنيف ، ومديرا مساعدا لمعهد جان جاك رسو حيث أجرى فيه كثيرا من أبحاثه ، كما عين مديرا للمكتب التربوي العالمي الذي كان أساسا لمؤسسة اليونسكو ، وقد نال دكتوراه الشرف من جامعة هارفاد سنة ١٩٣٦ م وقد توفى فى ١١ أيلول سنة ١٩٨٠ م.

من مؤلفاته : - مدخل إلى الإبستمولوجيا ١٩٧٥م.

- تكوين البنيات المنطقية الابتدائية ١٩٨٣م.
- سيكولوجيا الطفل ١٩٦٦م.
- البنيوية ١٩٦٨م
- الابستمولوجيا التكوينية ١٩٧٠م.

، مما يوسع دائرة أفـــق الطفـــل ، وينمـــى خبراتـــه ، ويستطيع أدب الطفل وبخاصة المسرحية فى هذا المجال أن تثرى خبرات الطفل فينقل الخبرة من مجال إلى آخر ، إذا نجحت المسرحية فنياً وأخلاقيا فى التأثير فيه ، بما تحمله إليه من قضايا وتصورات وقيـــم تشـــغل بالـــه ، وتعينه على حل مشاكله ، وتشبع اهتماماته ، فتعينه على تحقيق الاستيعاب السوي ، والتلاؤم الصحيـــح ، بذلـــك يتتابع النمو المعرفي خلال مراحل حياة الطفل ويتكـــامل ، ويرتبط ذلك غالبا بمرحلة العمليات المحسوســـة فـــي عمر الطفل ، وهى الفترة العمرية التي تمتد مـــا بيـــن السابعة والثانية عشـــرة (١١ : ٢٨٩ ، ١٧ : ٢٣٧) ، كما أنها هى المرحلة التي تدرك فيها الحواس عمليـــات التفكير ، خاصة نمو التفكير المنطقـــي ، الـــذي يعنـــى إدراك الأطفال لمفهومات تتضمن علاقات بين الأشياء ، ويمكن أن تنمو لديهم القدرة على التفكير مـــن خـــلال مشكلات مطروحة تتضمنها النصوص الأدبيـــة شـــعرا وقصة ومسرحية ، مشكلة لما يهتم به الطفل من قضايـــا تخدم حاضره ومستقبله ، كما تتصل بماضيـــه ، وهـــذه المشكلات تتطلب نموا متعاقبا ومتتابعا بكـــل الزيـــادات

والتناقضات ، المتوالية فى الحجم ، وكذلك يمكنهم فهم وجهات النظر المختلفة عن وجهات نظرهم ، برغم ما قد يكون لديهم أحيانا من قصور عن التعامل بفاعلية مع المشكلات المجردة ، وإن أدركوا عناصرها الخاصة ، إذ قد لا يستطيعون ربطها بشيء آخر ، حتى يصلوا إلى الحل (٤ : ٣٧٩ ، ٣٨٠).

لقد أثبتت البحوث والدراسات النفسية ، أن المسرحية يمكن أن تحقق ما سبق ، اعتمادا على تحقيق الأساس النفسي الفعال للتكامل ، في تنمية السلوك الإبداعي بمعناه الواسع ذى الأبعاد الأربعة : المعرفي والوجداني ، والإيقاعي الجمالي، والاجتماعي (٩ :١٦٣)، مما يسهم فى تشكيل السلوك ككل بخصائصه ، ومن ثم ينتج لنا " نغما متفردا من النشاط يفيض عن نفس الإنسان فى كل وقت ، وتحت ظل أى ظروف ، ويمتد معه بامتداد العمر ، ويعرف به سواء فى حضوره أو غيابه " (٩ : ١٦٥) ، لأن العمل المسرحي يمكن أن يكون وسيلة ملائمة لتنمية السلوك الإبداعي عند الأطفال ، مما ينشط الجانب العقلي المعرفي ويحقق

التوازن الوجداني ، كما يشبع الدوافع ، ويحفز الاستعدادات الجمالية والتشكيلية ، و يدعم الارتباط بثقافة المجتمع والتعامل مع قيمه ومفاهيمه السياسية والاقتصادية ، ويعتاد العمل من خلال فريق متعاون ، وبذلك يستفيد الطفل من المسرح فائدة عظيمة " (٩ : ١٧١) .

وهكذا أيضا يتحقق النمو الاجتماعي والأخلاقي ، وتنمو قدرة التعقل ، مما يسمح للنص الأدبي المسرحي أن يؤثر بقيمه العلمية والفنية والفكرية والأخلاقية والتربوية ، فيشكل الطفل السوي مدركا لقيم دينه ، حريصا عليها مهيئا للدخول في هذا العالم دون أن ينسى أهله ووطنه وأمته ، بل يكون متصلا بتصوراتها المرحلية في التنمية والتقدم ، وعلى وعى ما بالتطور العلمي ، في حدود ما هيأته له النصوص الأدبية خاصة المسرحية ، وما أعانه نضج خبراته والعوامل البيئية على الاتصال به ، والاستفادة منه .

ومع الكم المعرفي الهائل الذي يقدم من خلال وسائل الاتصال المختلفة ، وتباينه أجنبيا كان أم عربيا، يستطيع هذا الطفل أن يختار – خاصة إذا عاونه الآخرون – بما يسمح له بحسن التلقي وحسن الاستيعاب ، وسلامة التلاؤم ، خاصة فى البيت والمدرسة ، أما على مستوى أندية الإنترنت ، فحبذا أن تزود بأخصائيين نفسيين تربويين ليعينوا الأطفال على تكامل خبراتهم ، وحسن اختياراتهم على الأقل فى نهاية المرحلة الحسية وبداية المرحلة المجردة التى تتلوها ، كما حددها بياجيه وغيره من علماء النفس .

أمام هذه المتغيرات التي يمكن أن تعصف بالطفل عصفاً ، فإننا يجب أن نعيد النظر فى مستوى المسرحية الملائمة للطفل (١٥ : ٨٣ و ٨ : ٩) ، خاصة وما أكثر الأشكال المسرحية على مستوى النموذج الواحد ، وعلى مختلف النماذج ، فالشكل الأرسطى قد تجاوز حدوده الفنية عشرات المرات ، والشكل الملحمي قد اتصل بغيره وامتد فى كثير من

الأشكال الأخرى ، وكذلك بالنسبة لآثـــار تشـيكوف ، وإبسن ، وبرناردشو وبراندللو ويونيسكو وغيرهم ، وقد أثريت هذه الأشكال تقنيا بالنسبة للكبار (٨ : ٩) .

وإذا كنت فى دراسة سابقة منذ أكثر من عشـــر سنوات تقريبا قد رأيت أن الشكل الأرسطى بما فيه مـن منطق واعتماده على حدث له بداية ووسـط ونهايـة ، يمكن أن يكون الأنسب للطفل إقناعا وتأثيرا ، فإن مـــا نشاهده اليوم من كم معرفي هائل ، وتكنولوجيـــا فنيـة متخصصة ، واكبـها فـى الوقـت نفسـه تكنولوجيـا الاتصالات ، وما حققه الأطفال مـن نضـج ونمـو معرفي ، يجعلنا نوسع النظرة لمزيد من النجـاح فـى تحقيق الأهداف المنوطة بأدب الطفل عامة والمسـرحية خاصة ، لاسيما إذا أتيح للنص الكاتب المقتـدر الـذي يستطيع أن يوظف الشكل المناسب – أى شكل – للطفل المناسب ، باللغة المناسبة ، لتحقيق الأهداف المنوطـة بالمرحلة ومتغيراتها ، وغير ذلك ممـا يتطلـب ثـراء الكاتب نفسه وتنوع ذخيرته علميا وفكريا وفنيا ، فيتوثق اتصاله بالعلم والعلماء ، والفن والفنانين ، مع حـرص

في تراثنا وثوابتنا وقيمنا ، والرغبة
في تأهيل واع واعد ، يقدر أمته ومجتمعه وأهله ،
من أجل النهضة والخير والحق والجمال ،
مزودا بما حققه العصر من تكنولوجيا وعلم ومعرفة
للنهوض برجل المستقبل ، وتهيئته للمهام المنوطة به
، وتنمية جوانبه المختلفة فكريا وتربويا ونفسيا وثقافيا .

وفي هذا المجال لا ننعزل عن زحف الدنيا ،
وإنما نتعامل معه بوعي وبصيرة ، نستفيد من وسائله
وتقنياته ، ونطوع منه ما يكون محققا لمزيد من الفاعلية
لنا ، ونقدم لأطفالنا في أدبهم شعرا وقصة ومسرحية
وغيرها ، ما يحقق أهدافنا في غد مشرق سعيد ، زاهر
بهم ولهم ، لنبنى أمة عزيزة ، ووطنا منيعا ، يقود
ويرود ، فنصل أمسنا بيومنا ، بغدنا إن شاء الله ، في
حركة مستنيرة راشدة لا تنحجر على ماض ، ولا تنبهر
بحاضر تستوعب تآزر الأجيال ، وترسخ من قيمنا
الرفيعة .

كيف يمكن أن يحقق بناء مسرحية أدب الطفل في ضوء هذه المتغيرات خاصة تكنولوجيا الاتصالات الأهداف المنوطة بها في تنميته معرفيا ولغوياً وفنيا ،و وجدانيا وأخلاقيا وسلوكيا ، وتكامله نفسيا وتربويا وجسميا ؟ .

لن يتم ذلك إلا إذا أصبح التناغم الإنساني المعرفي بين المسرحية – كنموذج لأدب الطفل – والتقدم التكنولوجي حقيقة ماثلة أمامنا ، وهو ما يمكن أن يتضح خلال معالجات فنية لعدة نصوص مسرحية ، تمثل نماذج حديثة فى مجال دراما الطفل ، تتضمن القيمة الأخلاقية ، والمعرفة العلمية وتحاول إقناع الطفل بها والتأثير فيه بغية تحقيق حسن الاستيعاب ، والتلاؤم السوي ، على قدر ما أتيح لها من وسائل تعبيرية تنتمي إلى أدب الطفل ، وذلك بعد تحديد المرحلة السنية التي يمكن أن تلائمها هذه المسرحية ، لأن تحديد هذه المرحلة السنية واجب أخلاقي تربوي نفسي مهم جدا لتحقيق التواصل المرجو بين الطفل والنص ، برغم أن هناك من الكتاب من يهمل ذلك ، وهو أمر خطير ،

يجب أن ينأى عنه كل مخلص لأطفالنـــا ، لأن تحديـد المرحلة السنية لأي عمل أدبي للطفل ييسر مهمة اختيار النص الملائم للطفل ، أو البرنامج الذي يناسبه فكريـــا ونفسيا وتربويا ، وهذا التحديد لا يتم إلا بناء على أسس وشروط يوضحها علم نفس الطفل .

ولكل نص إيجابياته وســلبياته ، وســوف نشــير إليهمــا ؛ الإيجابيات بغيـــة تقديـم النمـوذج السـوي والسلبيات حتى تتضح ، فتتحقق الإيجابيات لمن أراد أن تتسع وسائله وترقى بالتخلص من هذه السلبيات والبعـد عنها ، دون أن نزعم أننا قد بلغنا بذلك ما نرجوه ، إنمـا هى جهود متواضعة تتآزر مع غيرنا ممن نذروا أنفسهم لهذا الاتجاه ، فتتكامل الجهود وتتعاون من أجـل بنـاء الوطن وأبنائه . وذلك عن طريق الكشف عن الجوانـب المعرفية والقضايا المعالجة فـي النصـوص ، ومـدى إسهامها في تنمية معرفة الطفل وصقله وتوجيهه وإبراز الشكل الفني الدرامي ، ومدى نجاحه فى تحقيق ذلـك ، وإضاءة اللغة الموظفة ، والقيمة الجمالية وتأثيرها فـي الطفل ومسلكه ، ليستمر نموه وتقدمه ، في عالم تتسارع

اكتشافاته العلمية والتكنولوجية ، وتتقدم وسائل الاتصال فيه وتتباين .

وتتعدد الأشكال الأدبية التي يمكن أن يتجلى فيها هذا التناغم الإنساني المرجو بين أدب الأطفال والتقدم التكنولوجي فى مجالات الحياة المختلفة ، وربما كان قصص الخيال العلمي ومسرحياته في مقدمة الأشكال الأدبية ذات الطواعية الفنية للاستجابة لهذه الغاية الإنسانية ، ليس فقط لأن المسرحية والقصة من أجناس الأدب الموضوعية ، ولكن ربما لأن هذين الشكلين برغم تنوع فنونهما – أكثر أشكال الأدب استجابة للتفاعل مع قضايا العلم والحياة كما يشهد تاريخ الأدب عند مختلف الأمم والشعوب .

علاقة الخيال بالفن والواقع :

ويعتبر الخيال مهما فى تحقيق الغايات التي أشرنا إليها " فمن مفهوماته أنه التفكير بالصور حسب طرق فنية تختلف من مذهب لآخر " ، وقد أجمع على ذلك فلاسفة ونقاد مثل كانط وشلنج الألمانيان ، وورد زورث

وكوبريدج الإنجليزيان (١٦ : ٣٨٨ ، ٣٨٩) ، وهو قدرة ذهنية على تكوين صور مختلفة جديدة ، لم يمر بها الفرد من قبل ، لكنها على وجه ما يمكن أن تكون منتزعة من الخبرات السابقة له ، عندما يصبح هذا الخيال وسيلة العقل في تأليف تنظيمات جديدة من هذه الصور تتصل بأبعاد الزمن الثلاثة : الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، وبذلك يتشكل الإبداع العقلي ، والقدرة على اكتشاف الجديد ، والتعامل مع التقدم التكنولوجي فى الحالات المختلفة ، كما يتضح التكيف الإيجابي مع البيئة (٢ : ٩٢).

هكذا تتجلى أهمية الخيال في تكوين الأعمال الأدبية التي تقدم للطفل ، كما تبرز أهميته بالنسبة له. وهو يتعامل مع هذه الأعمال الأدبية : الشعر والقصة والمسرحية الموجهة إليه ، فيتفاعل معها وتتحقق له كثير من الغايات التي سبقت الإشارة إليها .

ويدعم ذلك فاعلية الخيال فى تجديد النشاط العقلي، وتحقيق التوازن النفسي ، وتنمية المهارات العلمية

والفنية ، وإسهامه فـــى تشـــكيل الحيـــاة علـــى نحـــو أفضل(٣ :٩٣، ٩٤) .

ولقد تأكد ذلك بما أثبتته الدراسات النفسية مـــن أن خيال الطفل يبدو أكثر نشاطا وخصوبة مما كان عليـــه قبل مشاهدة المسرحية (٩ : ١٧) .

وبرغم تباين الخيال باختلاف خـــبرات الأطفـــال وأعمارهم ، لكنه لا يتجاوز الحقيقة إلى الكذب ، وإنمـــا هو يسهم في الكشف عنها وتجســـيدها وحســـن تمثـــل المبدع لها ، وسلامة تفاعل الطفـــل المتلقـــي معـــها ، وتحقيق ثراء الفكر ومتعة الوجدان ، بالصورة الجميلـــة والكلمة المعبرة ، وارتياد المجهول ، خاصـــة إذ تـــهيأ للمسرحية الممثل المقتدر ، والمخـــرج المثقـــف دينيـــا وفكريا وعلميا ، وتوافرت وسائل الديكور المعينة .

وإذا كان الخيال يتضمـــن معنـــاه عـــدم التحقـــق الواقعي، فإن العلم فى أول درجاته يعنى هـــذا التحقـــق لذلك فإن قصص الخيال العلمي ومسرحياته يمكـــن أن يتجلى فيه هذان الجانبان دون تنـــاقض ، فـــالتصورات

العلمية مزيج من الخيال والعلم ، بحيث يحقق لرؤى العلماء امتداداتها النظرية التي ما يلبث أن يؤكد ويختبر ويبرز تجلياتها الواقعية التطبيقية . فالخيال وديناميكياته قاسم مشترك فى التطورات العلمية والفنية وتصوراتها . من هنا يتراءى قصص الخيال العلمي ومسرحياته – مهما كانت وسيلة الاتصال –كأنهما لصيقان بما يحدث في عالمنا اليوم من تغيرات . تتجاوز الواقع إلى الخيال . لكن مثل هذا الضرب من القصص قد نشأ قبل كثير من الاكتشافات التي نراها رأى العين اليوم (١٥ : ١٣٨ – ١٤٤)، وهذا القصص يستمد من العلم تصوراته ، سواء لتأكيد ما أنجز ، أو للتطلع نحو الجديد الذي يمكن أن ينجزه الإنسان ، لاكتشاف المجهول في الأرض والسماء، وفى قاع البحر ، وأجواء الفضاء ، وهو يتصدى لحياته ومشكلاتها التي تعترض تقدمه، وبذلك فهذا القصص صدى لما حدث من طفرة في تكنولوجيا الاتصالات ، حيث يوظف الكاتب في رحلته الصاروخ أو الطبق الطائر أو سفينة الفضاء ، للانتقال السريع بين آماد الفضاء ، وطبقات

الأرض ، أو يوظف الغواصات للوصول إلى أعماق البحار والمحيطات .

هكذا صعد الإنسان إلى أجواز الفضاء بخياله ، كما تعمق طبقات الأرض وأعماق البحار بفكره ، قبل أن يتحقق ذلك اليوم . وإذا كان الإنسان قد تنبأ قصصيا بذلك ، فقد تجلت هذه القصص ذات صلة وثيقة بما أنجزه الإنسان في مجال التكنولوجيا ، فقصص الخيال العلمي سابق ومبشر بما تحقق من إنجازات علمية وتكنولوجية.

ومن هنا يمكن أن نعتبر قصص الخيال العلمي ومسرحياته ، لونا من ألوان التلاؤم والتناسق والتناغم بين التقدم التكنولوجي ، وما يجب أن يكون عليه أدب الاطفال ، فهذا اللون من القصص والمسرحيات يهتم بالعلم وتطبيقاته في مختلف مجالات الحياة ، فإذا ما أردنا للطفل أن يواكب هذه المتغيرات ، فيعيش عصره ، ويتصل بمنجزاته التكنولوجية ، فإن قصص الخيال العلمي ومسرحياته من أهم ما يجب أن نقدمه له كمصدر ثرى لكثير من الأفكار والنظريات العلمية

البسيطة برغم عصرينها ، حتى يتفاعل معها ويعيـــها ، وتتسلل إلى فكره ووجدانه بصياغتها الأدبية المناسـبة ، وتشويقها الممتع المستجيب لتطلعاته ، المشبع لاهتماماته في هذه المجالات ، فننشئ فيه العالم المبتكر ، وننمـــى فيه الإنسان الفنان ، وندعم فيه البناء لأمته ، المحـــافظ على رسالتها وريادتها عندما يعمد الكاتب إلـــى اتخـاذ الفكرة العلمية التكنولوجية كأساس يبنى عليـــها حدثـه المسرحي ببساطة ويسر ، رابطا بينها وبين نمـــو هـذا الحدث ، بداية ووسطا ونهاية ، حتى لتصبح هذه النهايـة قرينة بانكشاف المشكلة المعالجة ، ومؤذنة بحلها حـــلا أخلاقيا فنيا ، يحقق كثيرا من الأهـــداف بـهذا العمـل المسرحي للأطفال ، عقديا وفكريـــا وفنيـا ، ونفسـيا وتربويا ، وعلميا ، فنهيئ له حسن الاستيعاب ، وسلامة التلاؤم ، فيتغير وتتراكم خبراته المعرفية وينمو ، وتتقدم حياته ، ولن يتم ذلك إلا من خلال مكان وزمان محددين ، واضحين ، بحيث يسهم هذا التحديد والتوضيـح فـي تأكيد معقولية الحدث ، وييســـر علـى الطفـل تقبلـه والاستجابة له ، والانشغال به ، والتعلم منـــه ، وتـأتى الشخصيات ، مهما تنوعت مستوياتها ، وتعددت أنماطها

متفاعلة مع هذا الحدث ، مبرزة له ، كاشفة عن قيمها وتطوراتها ، خلال نمو هذا الحدث نفسه ، مشكلا لبنيته المسرحية ، التي تشبع اهتماماته بما تثيره من أفكار ، وما تحمله من قيم (ولا نتصور هنا عقدة مسرحية ليست نتيجة تطور الحدث ونموه وتلاحم أجزائه) ، لذلك يتمحور نشاط الطفل وانتباهه وإبداعه وابتكاره نحو الحل (١٠ : ٦٢) . كما أن تقدم الحدث في منطقية فنية ، أو تتابع تاريخي ، يمكن أن يكون ارتباطاً عضوياً مقنعاً يعين على حسن التمثل ، وفاعلية التلقي ، وهكذا مهما اختلفت الأشكال الدرامية ، وتباينت وسائل الاتصال ، " يمكن أن يستفيد الطفل من المسرحية معلومات عن نفسه وعالمه وأبناء مجتمعه ، وعالمهم والوطن وهمومه ، والآمال حوله ، والدين ومعارفه ، وفضائله وشخصياته العظيمة ، وكل المتغيرات من حوله " (١٠ : ٦٢) .

بذلك يمتد الاتصال ويتوثق إرسالا واستقبالا بين أدب الطفل ومنجزات العلم والتكنولوجيا ، ويتسع ليشمل الجهود الإنسانية في هذه المجالات الرحبة ، منذ أن وجد

الإنسان وأنشأ قصص الخيال العلمي ومسرحياته ، وتحقق التقدم التكنولوجي ، إلى ما شاء الله ، بغية ترقية الطفل وتنمية قدراته ، وصقل مواهبه وتهيئته للبناء ، وتحقيقه لما يناط به من أهداف في يومه ، وغده.

إن التقدم التكنولوجي ، وسرعة الاتصالات ، والكم الهائل الذى تقدمه الفضائيات يسهم فى تيسير حياة البشر ، وتهيئتهم لمواجهة مشكلاتها وحلها ، سواء تم هذا التيسير وذلك الحل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بمعنى أنه قد تكون الحلول غالبا جاهزة ، لكن الوصول إليها يرتبط بمن فى يدهم مقدراتها التكنولوجية والعلمية ، وهى لا شك عمليات غاية فى الدقة والتعقيد ، وهذا ما يكشف عن المسافة الشاسعة بين المنتج الفاهم المالك لكل أطراف التكنولوجيا ، والمستهلك الذي يمكن أن يعيش عالة على غيره ، وهذه أيضا علاقة معقدة تتطلب التعاون الإنساني ، برغم ما نجده من عولمة تبغي السيطرة والسيادة ، من هنا فعلى الإنسان أن يستوعب ويتلاءم ويتكيف حتى يحقق ذاته ، ويمتلك وسائل التقدم والنهوض .

في المقابل نحن بحاجة إلى أدب أطفال يتواكب وهذا التعقيد المعرفي ، فتتضمن المسرحية أو القصة ضروباً من التعقيد ، لا للإلغاز والإبهام ، وإنما ليرقى الطفل فى عمليات عقلية فكرية تؤهله بالتدرج ليتعامل مع متغيرات الحياة ، لست أعنى بذلك التعقيد الفني فحسب فى تشكيل العمل الأدبي ، فهذا أمر مفروغ منه ، إنما أعنى بجانب ذلك عمليات عقلية استنتاجية ابتكارية، قد ترتبط مثلا بمسألة حسابية أو رياضية – تحقق لعقل الطفل استثارة أفكاره ، وتدريب ملكاته ، وصقل مواهبه، وتأخذ بيده للاتصال بواقعه المتغير الكثير التعقيدات ، فيستوعب ويتلاءم ، وينمو وينجز ما يؤهله للاستمرار فى النمو والإنجاز كما في مسرحية "الفطائر الخمس " (١٣) لأحمد المغربي وعصام إبراهيم ، وكذلك بعض مجموعة مسرح الطفل لحازم شحاته مثل : " حكاية لم تنته " ، و " حرب لا تنتهي " (١٤) .

وقد يتصل بهذا التعقيد الفكري المرجو الذي هو نتيجة التناغم الإنساني المعرفي بين أدب الطفل والتكنولوجيا أن يتضمن العمل الأدبي ما يستثير في

الطفل المتأ[illegible] من التفكير المنظم ، وإعمال العقل لمواجهة المشكلة الفكرية التي يبنى عليها العمل الفني ، عندما تعتمد المسرحية أو القصة أو القصيدة أو غير ذلك على هيكل فكرى ينبني على عديد من علاقات التماثل والتخالف والتساوى المنطقية ، التي يتمثلها بتوصل العمل الأدبي إلى الحل المقنع الممتع المربى المفيد عقلياً ووجدانيا (مثل مسرحية الرنين والدخان) لأحمد المغربي وعصام إبراهيم أيضا (١٣) ، كذلك بعض مسرحيات : مسرح الطفل لحازم شحاته (١٤) ، ومسرحية القاضي جحا لأحمد سويلم (١٢) ، وبرغم أن التفكير والحل عن طريق استثارة المشكلات ليس بالأمر الجديد فى مجال دراسات الطفولة النفسية وأدبها ، لكن المهم صياغة هذه المشكلات بطريقة فنية تجذب وتشوق ، وتستثير وتنمى وتحقق الاستيعاب السوي والتلاؤم الصحيح بعد عمليات عقلية تتسم بالتعقيد المثرى ، لا المبهم أو الملغز .

البعد العقدى :

ولا يكتمل هذا التناغم المعرفي الإنساني بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي ، إلا إذا أحسن استثماره عقديا فى تنمية إيمان الطفل ، وتصحيح معتقداته من خلال العمل الفني المسرحي أو القصصي ذى الخيال العلمي ، فيتكامل فى نفس الطفل ترقية الروح ، وبناء العقل ، وطهارة النفس ، وسلامة البدن ، فتستقيم حياته على الطريق السوي ، وينشأ المؤمن القوى المسهم في بناء خير أمة أخرجت للناس . ذلك أن كل مظاهر التقدم التكنولوجي إنما هي ضروب من تذليل الله سبحانه وتعالى نعمه لخير الإنسان ، وتسخيرها لخدمته ورعايته ونهضته فى البر والبحر .

من هنا يصبح استشعار واجب الشكر للمولى تعالى بعدا عقديا تكتمل به نتائج العمل الفني في ترقية الطفل ، فيستحضر تقوى الله فى السر والعلن ، في محبة وادعة ، وخشوع جميل ، يتآزر مع قيم النص الفنية والفكرية والعملية ، فى تشكيل هذه النفس

المطمئنة ، بعيدا عن القسر ، والقهر والتكلف ، وكل ما يباعد بين الطفل ونجاح النص في التأثير فيه وتنميته وترقيته ، ولنا فى القرآن الكريم وحديث رسول الله (ﷺ) خير قدوة وأعظم أسوة ، فى الاعتماد على القصص أو إبراز سلوك الشخصيات السوية ،عندما تتعامل مع الخير والشر ، مؤثرة للأول ، منكرة للثانى ، يدفعها الإخلاص والولاء والتقوى لضرب خير الأمثلة وأروعها للبشر أجمعين .

نموذج تحليلي فى ضوء ما سبق:

ويمكن من خلال عرض نموذج من نماذج مسرحيات الطفل التى تمثل توظيف الخيال العلمى فى هذا المجال ، أن نوضح كثيرا من الجوانب التى سبق إجمالها أو تفصيلها فيما سبق ، تلك هي مسرحية " زيارة من الفضاء " لأحمد المغربي وعصام إبراهيم " (١٣) .

"زيارة من الفضاء"

هذه هى المسرحية الأولى فى مجموعة بعنوان : " مسرحيات من الأدب العالمي للأطفال " ، وربما كان سر عالميتها أن لها نماذج تقترب منها فى كثير من آداب الأطفال فى اللغات المختلفة ، بالإضافة إلى أنها نموذج من نماذج اهتمامات الشعوب بوصل أطفالهم بالعلم والتكنولوجيا ، وهى تتألف من فصل واحد ، تشكله ثلاثة مشاهد ، كما أنها فى الوقت نفسه ذات " مكان واحد محدد " ، هو إحدى المناطق الخالية من السكان ذات خلفية جبلية ، وبهذا التحديد المكاني تسهم فى إقناع الطفل المتلقي ، كما تحقق التلاؤم بين " المكان " وبين هدف من أهداف المسرحية ، وهو إذكاء الروح العلمية التى هى أثر من آثار مواكبة أدب الطفل للتقدم التكنولوجي ، وتناغمه معه ، سواء فيما يتعلق باهتمام شخصيات المسرحية بالبحث عن الصخور الغريبة ، أو الاهتمام بأخبار الكواكب الأخرى ، من ثم يعد تحرى استجابة هذه المسرحية للتقدم العلمى والتكنولوجي ملمحا مميزا لها .

وهي تستثمر فكرة الخيال العلمي ، القائم على اتصال بين الأرض والكواكب الأخرى بغية تحقيق التعاون لخدمة البشر ، وكل المخلوقات ، وقد تجلى ذلك خلال *علاقتين دراميتين* ؛ أولاهما علاقة " تماثل " بين هشام وخالد فهما صديقان مهتمان بالبحث عن الصخور والأحجار الغريبة النادرة ، خاصة في بعض المناطق الجبلية الخالية من السكان ، التي هي مكان " الحدث " .

وتمتد علاقة التماثل وتتسع لتشمل هشام وطفلين من أبناء آثور هما أوسيم وأوساكا ، وآثور أحد الكواكب البعيدة عن الأرض ، ذات التقدم العلمي ، وقد اعتاد هذان الطفلان أن ينزلا بطبق طائر إلى المنطقة التي يتجول فيها هشام على الأرض بحثا عن الأحجار ، كما أن بين هؤلاء الثلاثة من المودة والمحبة ، والعهد الذي يجعل اهتماماتهم المشتركة بالبحث عن الأحجار والمعرفة المتعلقة بالكواكب أمرا يخفونه عن غيرهم حفاظا على سرية البحث والمعرفة .

أما العلاقة الثانية فهي علاقة المفارقة (أي التي تتضمن التماثل والتخالف) فهشام وخالد برغم تماثلهما

في الاهتمامات العلمية ، لكن هشام حريص على السرية خاصة فى علاقته بأبناء كوكب آثور التى لا يعلم عنها خالد شيئا ، إلا بعد تطور الحدث فى المسرحية ، كما أن اهتمام خالد بالعمل ، والبحث عن الأحجار من أجل الشهرة ، وتحقيق ذيوع الصيت ، دون تريث أو نظر إلى نتائج ذلك التى يمكن أن تجعل أبناء الكواكب الأخرى يتضايقون ، بل قد يثير موقف خالد ورغبته فى نشر الأخبار طمع الآخرين على الأرض – كالدكتور نعمان مثلا – فى أصحاب الكواكب الأخرى المسالمين ، مما يمكن أن يعود بالشر على الجميع .

وهكذا تأتى شخصية الدكتور نعمان ، وهى أقرب ما تكون لخالد نظرا لاهتمامه بالبحث عن العلم والمعرفة من أجل الشهرة وذيوع الصيت والكسب المادى .

يلاحظ هنا وجود علاقتين دراميتين ، تضمان خمسة أشخاص ، مما يجعل تقبل هذه المسرحية ملائما للأطفال فى مرحلة الطفولة المتأخرة أى من (١٠ – ١٢) سنة (١٥ : ١٥٤ ، ١٥٥) ، علما بأن هاتين

العلاقتين الدراميتين مركبتان ، بمعنى أن التماثل يتصل بالتخالف كما فى علاقة هشام بخالد مثلا .

"***فالحدث بسيط*** " يتألف من فعل له بداية – كما قرر أرسطو فى فن الشعر –. تتمثل البداية فى خروج هشام وخالد استجابة لاهتماماتهما العلمية ، بحثا عن الأحجار الغريبة ، ويأتى وسط الحدث مؤذنا بظهور التعقيد الدرامي ، إذ يحرص هشام على سرية البحث وكتمان أسرار كوكب آثور من ثم يحاول أن يأخذ عهدا على خالد ألا يذيع أخبار آثور ، عندما يهبطان بعد قليل بطبقهما الطائر كما اعتاد هشام أن يراهما ، وإن كان خالد سوف يراهما لأول مرة ، ولذلك فقد استولى عليه الخوف .

وينمو " الحدث " عندما يحتك خالد بابنى آثور اللذين يبديان سعادتهما بالنسبة لهشام الحريص على الكتمان وعدم كشف الأسرار ، بينما يدركان طبيعة خالد ورغبته فى الكشف والذيوع ، واستغلال الموقف لمصلحته ، من ثم فقد حذراه نتيجة ذلك ، لكنه يبين أن الأمر لم يعد خافيا على أحد ، خاصة الدكتور نعمان

الذى يتردد على هذا المكان بحثا عن الخلوة من أجل العلم والمعرفة ، وقد أحس الجميع فعلا بآثار شخص قادم كان هو الدكتور نعمان ، وهكذا يصل الحدث إلى " العقدة " وهى قمة التأزم ، بين حرص هشام وأوسيم وأوساكا على السرية ، وعدم انكشاف أمرهم ، ورغبة خالد والدكتور نعمان فى الكشف والذيوع ونشر المعلومات مقابل الصيت والسمعة والأجر المادي .

لكن ابنى آثور يمتلكان من وسائل التأثير ما يوقف خالد والدكتور نعمان عند الحدود التى لا تسمح بانكشاف أمرهما ، إذ استطاعا إيقاف إدراك هاتين الشخصيتين عند الحد الذى لا يتجاوز زمنيا قبيل هبوط أوسيم وأوساكا . وبذلك فقد تجمد كل من خالد والدكتور نعمان عند هذا المستوى ، حتى غادر ابنا آثور الأرض سالمين بطبقهما واختفيا ، وهذا هو " الحل " الذى بعده نجد خالد ونعمان فى نفس نقطة الإدراك التى توقفا عندها قبيل ظهور أوسيم وأوساكا ، ولعلنا نلاحظ الارتباط العضوى بين الحدث والعقدة والحل ، والارتباط المنطقى الفنى

بينهما ، وأهمية الشخوص بسماتها البيئية والفكرية وما بينها من تقابل فى الكشف عن هذا الارتباط العضوى .

كما نلاحظ أن " *الصراع* " هنا ، قد تمثل فى تعارض الإرادات بين هشام وأوسيم وأوساكا من ناحية ، وخالد والدكتور نعمان من ناحية أخرى ، كما زكى " التقابل " بين الرغبات لدى الجانبين من هذا الصراع ؛ فتجلى حرص الطرف الأول على السرية والتكتم وعدم نشر الأخبار ، بينما ظهر تمسك الطرف الثانى بالرغبة فى الاستطلاع والكشف وإذاعة أخبار كوكب آثور ، لكن الموقف حسم سريعا لصالح الطرف الأول ، بوسائله الخاصة التى تتجاوز إمكانات الطرف الثانى ، علما بأن هذه الوسائل جزء من فكرة الخيال العلمى الموظفة فى بنية هذا النص ، بناء على أن ما يملكه أبناء الكواكب الأخرى ويستطيعون به أن يؤثروا فى أبناء الأرض ، لايوجد لدى غيرهم – نتيجة تفوقهم العلمى – وهذا مما يساعد على تشكيل بنية الحدث .

ومن الجدير بالذكر أن قوة أبناء الكواكب الأخرى يجب ألا تكون مصدر تخويف وإزعاج للطفل مهما

احتاجت المسرحية أو القصة لها كي تضبط وتنظم بعض المشاعر الإنسانية ، وإنما يجب أن تقترن القوة بالمحبة ، والشدة باللين ، والحرص مع اليسر ، لما في ذلك من عون للطفل على حسن التلقي ، وإيجاد الجو النفسي الملائم لسلامة الاستيعاب ، وصحة التكيف ، والتفاعل مع النص ، فعلى سبيل المثال : في الوقت الذي كان فيه أوساكا وأوسيم يشتدان مع خالد والدكتور نعمان ، فيوقفان حركتهما تجنبا لما يمكن أن يحدثاه من شر ، ولما لاحظاه عليهما من بعد عن التوجه السوي في استخدام العلم والمعرفة لخدمة الإنسان ، وتحقيق الأمن له والحرص على سلامة الآخرين ، فقد كانا هما نفساهما أوساكا وأوسيم يبذلان الود والمحبة لهشام ، لما أنساه فيه من مودة ، وما لقياه لديه من إخلاص للعلم وأهله ، وحرصه على سلامة غيره وأمنه وراحته ، بل ووجوب التعاون بين كل المخلوقات رعاية وخدمة لها .

ولاشك أن ذلك التباين في أسلوب التعامل بناء على منطقية الفعل ونتيجته ، مما يقنع الطفل بكثير من هذه المبادئ ، ويشبع اهتماماته بتحقيق العدل عن طريق

الثواب والعقاب ، كما يغرس هذه المبادئ فـــى نفســه حاصة وطفل هذه المرحلـــة يمكنـــه إدراك العلاقـــات المنطقية القائمة على مثل هذه الأنواع مـــن الســلوك ، وكل ذلك ذو صلة وثيقة بطبيعة الصراع فى المسرحية وترشيده وتوجيهه وجهة سوية ، تحقق التوازن للحدث ، وبه تتكامل جهود الشخصيات وينتصر الخير ، لإقنـــاع الطفل بالقيم والمبادئ التى يراد غرسها فيـــه ، بجـــانب وصله بالعلم وتحبيبه إليه .

بل لقد كان تقدير أوساكا عظيمـــا لجـــهود أهـــل الأرض ، عندما شاهدا القمر الصناعي الذى رأيا فيـــه سلامة وجدية أهل الأرض وفاعليتـــهم فـــى البحـــث العلمى ، وتيسير سبل الحياة للكشف وتحقيق التقدم وأنهم على الطريق الصحيح .

وتتآزر الآراء السابقة لأبناء كوكب آثور للكشـــف عن سلامة واستقامة أبناء الكواكب الأخرى ، مما يحـث الطفل على الحب والتعاون فى مختلف مجالات الحيـــاة العلمية والتكنولوجية ، خدمة للمخلوقات جميعها .

إذا كانت هذه هى بعض ملامح البناء الفني لهذه المسرحية ، فما أهدافه ؟ وكيف كشفت عناصره الدرامية عنها ؟

على المستوى الإنساني العام ، يمكن أن يكون إزكاء الروح العلمية والتعاون فى هذا المجال ، وجدية البحث فى مقدمة ما تبتغى هذه المسرحية غرسه فى نفوس أطفالنا ، وتنميتهم للتعود على الصبر وعدم التسرع فى إذاعة نتائج البحث العلمى حتى ينضج ، ويحقق ما يناط به من أهداف خدمة للبشرية ، وتصد لما يواجهها من مشكلات تعوق تقدمها ، وتسخيرها لما هيأه الله لها من نعم ومنافع .

من هنا كان " التقابل " بين الشخصيات من بين الوسائل لتحقيق تلك الأهداف خلال هذا البناء الدرامى .

وعلى المستوى الخاص يمكن أن يكون تحقيق العدل ؛ بمكافأة المحسن وعقاب المسيء ، حيث توطدت علاقة هشام بابنى آثور ، أوسيم وأوساكا ، فقد كان وفيا لعهدهما ، محافظا على أسرارهما ، بينما خالد والدكتور

نعمان تجمدت حالتهما عند مستوى بداية الحدث ، وبذلك حرما من متعة الكشف والمعرفة التى يحرصان عليها ، وإن كانت بالنسبة لهما رغبة خاصة وليس مطمحا إنسانيا .

كما يرتبط بما سبق الحفاظ على العهد والوفاء به ، والولاء للمبدأ فى حياة تحتاج إلى هذه القيم لبنائها وتحقيق السعادة للمخلصين الحافظين للعهود والأوفياء للمبادئ .

وهكذا يتحقق ، وصل الطفل بالتقدم العلمى ، واستثارة معارفه حول تكنولوجيا الاتصالات والبحث فى الفضاء ، كملمح جعل عالمنا الكبير قرية صغيرة ، مما يتطلب منه تهيئا خاصا لممارسة الحياة ، والنظر إليها فى سرعة حركتها وتقدمها ، حتى يتسنم المكانة اللائقة به فى ميادين بناء أمته ونهضتها ، فاعلا غير خامل ، ورائدا غير تابع .

كما يأتى شكر الله على ما أنعم به علينا من فضل وعلم ، وما ذلل لنا من وسائل التقدم والسيطرة على

الحياة لنفع البشرية وخيرها ، أسلوب حياة لأبناء أمة يخلصون ويتواضعون ، وتتسع قيمهم ومبادئهم للدنيا كلها ، عملا وبناء وبرا ومعروفا .

اللغة :

تحقق اللغة الموظفة فى مثل هذا اللون من مسرحيات أدب الأطفال فى هذا المجال الإنساني المعرفي ، مستوى من التوازن بين ما تحمله من فكر علمي ، وقيم أخلاقية ، وإبرازه فى ثوب أدبي لتشكيل بنية النص تشكيلا يحقق الأهداف المنوطة به فى ترقية الطفل وبنائه ، ونموه .

فما طبيعة اللغة الموظفة فى هذه المسرحية للكشف عن التناغم المعرفي الإنساني بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي ، وهل حققت هذه اللغة الغايات المنوطة بهذه المسرحية ؟

يحاول المخلصون للطفل أن يجعلوه يتدرج لغويا ليتمكن من صياغة التركيبات الخاصة به من لغته الأم

لاكتساب ما يسمى " بالكفاءة اللغوية " ، وبذلك يصبح له القدرة على التطبيق اللغوى تدريجيا ، خاصة عندما يتصل بالأمثلة والحوافز التى تقدمها له البيئة : الأسرة والمدرسة والمجتمع ، حيث يتيح له جهازه الفطري للفهم اللغوي اختيار وتنسيق العناصر المختلفة (٥ : ١٧ ، ١٨) فتنمو لغته وترقى فكرا وصورة .

بل إن ضعف قدرات الطفل التعبيرية يتطلب منا وضع أهداف على المدى القريب والبعيد ، لتجاوز ذلك، ومن بين الوسائل المعينة على هذا التجاوز اختيار النصوص الأدبية الملائمة بعد إثارة اهتمام الطفل لحديث الآخرين ، وقد يتطلب منا ذلك تشجيعه على اللعب والرسم ، واستخدام لغات غير لفظية حتى نهيئه لاستقبال النصوص الأدبية الملائمة لمستواه ، وبذلك نضع نصب أعيننا إمكانات التطور المستقبلية وتنمية الطفل للكفاءة اللغوية (٥ : ١٤٩) ، التى تحقق له الانسجام مع واقعه وبيئته لغويا وفكريا ، وبالتالي التفاعل مع الحياة بمستجداتها العلمية والتكنولوجية .

ويمكن أن ننظر إلى لغة هـــذه المســرحية فــى مستويين :

أولا : المستوى التركيبي :

سوف نجد أن مثل هذه المسرحيات توظف عــددا من المصطلحات العلمية التى يمكن أن تسهم فى تشــكيل بنية الحدث ، للإيحاء بجو علمي تتفاعل معه شــخصيات المسرحية ، لتوثيق اتصال الطفل بــالتقدم التكنولوجــي مثل : الأقمار الصناعية – المركبة الفضائية – ســفينة الفضاء – الطبق الطائر – طاقــة الأشــعة الكونيــة – الجبال – الصخور – الأحجار ، كما نجد بجوار ذلــك : الحضارة – المغامرة – الهبوط – الصعود – الفضاء – ، وإذا كانت المجموعة الأولى يغلــب عليــها الجــانب المادي العيني ، فإن المجموعة الثانيــة يغلــب عليــها الجانب المعنوي .. ، ومن الاحتكاك والتفاعل بين هذيــن الجانبين من المصطلحات والمفــردات ، خــلال بنــاء المسرحية تتشكل الفكرة العلمية التى ينبني عليها حــدث المسرحية مزيجا من الخيال والواقع .

وهى مصطلحات تتميز مفرداتـــها بالوضـــوح واليسر ، وإن كانت ذات خلفية علمية يمكن أن تتضـــح بجلاء خلال استخدام النص لها ، كاشفا عن مدلولاتـــها العلمية بطريقة ميسرة ، لا تسبب للطفل المتلقي عســـرا فى الفهم ، أو تعطل تذوقه الوجداني عن التمتع بالنص ، لأنها تسهم فى نمو الحـــدث ، وهكـــذا يتـــم الاتضـــاح والانكشاف المعرفي متبادلا بين الحدث والمصطلحـــات المشكلة له .

وإذا كان من الطبيعي أن يطول الحـــوار شـــرحا وتفصيلا ، ولكن جمله تتميز غالبا بالقصر ، ووضـــوح أركانها ، دون تقديم أو تأخير ، ينجم عنه غمـــوض أو لبس ، كما يقترن طول الحـــوار ، بســـهولة الكلمـــات ووضوح الفكرة ، برغم ما قد يتضمنـــه النـــص مـــن مصطلحات علمية ، مع اســـتخدام علامـــات الـــترقيم استخداما سليما خاصة النقاط المتتابعة التـــى يمكـــن أن تكشف عن تدفق تيار الوعى ، بالإضافة إلى علامـــات التعجب والاستفهام ، وذلك بالنسبة للطفل القارئ للنـــص أو المستمع له المشاهد للعرض المسرحي ، وهـــو مـــا

يمكن أن يستثمره مخرج المسرحية فى تدريب الممثلين عليها بما يضئ كثيرا من جوانبها .

وبرغم ما يتضمنه النص من مصطلحات علمية فهو لا يتجرد من المشاعر والعواطف التى تكشف عنها الشخصيات تجاه بعضها . كشفا عن العلاقات خلال مجموعة من " ***التقابلات*** " ، ليتجلى الخير فى الوفاء والصداقة والإخلاص والمودة والأمانة ، ويندحر الشر متمثلا فى الغدر والخيانة والتخلى عن القيم والمبادئ ، كما يتمثل الطفل الفكرة العلمية التكنولوجية ، وهى هنا أهمية البحث والتعاون العلمى بين الكواكب المختلفة ، واكتشاف أرجاء الفضاء ، وما سخر الله للإنسان من نعم وفضل ، وهكذا يتم التمثل اللغوي الدلالي للنص محققا النمو المعرفي ، ومتعة الوجدان ، وثراء الفكر .

وكم كنت أتمنى أن أرى فى هذا المجال مسرحيات شعرية ، لأن لغتها توازر العناصر الدرامية ، فتعلى من فنية النص المسرحي ، مما يثرى وجدان الطفل المتلقي (١٧ : ٢٨ ، ٢٩) إذا روعي التقديم الملائم ، لأن أدب الطفل يعتبر جزءا من عالم الأدب الأكبر ، ويمكن

كتابته وقراءته ودراسته ، وتحليله وتعليمـــه وشـيوعه كأدب الكبار ، ولكن بما يناسب الأطفال (١٨ : ٦٠) .

ثانيا : المستوى التصويري للنص :

الحرص على فنية اللغة المناسبة للطفل أمر مهم ، لتحقيق متعة الطفل الوجدانية ، وصقل مشاعره وتنميـة ذوقه ، ودربته فى هذا المجال ، كما يتم التمثل الدلالـي اللغوي للنص ، فيتحقق كثير من الأهداف المنوطة بـه ، وهكذا يتهيأ الطفل للتفاعل مع ما يقدمه له النـص مـن أفكار علمية ومسائل تكنولوجية تناسب المرحلة السـنية التى يمر بها هذا الطفل ، فيستوعب ويتكيف ويتـلاءم ، ويتحقق فى الوقت نفسه النمو المعرفي المرجو .

وسنجد أن معظم الصور فى هذا النص تحكمـها مكوناته : الفكرة العلمية التكنولوجيـة ، التـى يحملـها النص ، وتشكيل البناء الدرامي الفاعل ، والتـأثير فـى الطفل متلقي النص عقلا ووجدانا ، والصياغة اللغويـة المسهمة فى تنمية كفاءة الطفل اللغوية وتحقيقها ، ويمكن أن ندلل على ذلك بتحليل صورتين فقط من صور هـذا

النص المتعددة ، المترابطة خاصة بعد أن حقق هذا النص كثيرا من الخصائص المنوطة به ، باختيار لغة ذات انسجام واتساق بين صورها التعبيرية وتراكيبها ، لتنطق بها شخصيات متوافقة منطقا وسلوكا ، من هنا كانت الصور ملائمة كاشفة ، محققة التفاعل بين الطفل المتلقي والنص ، مثرية لفكره ، منمية لذوقه ، صاقلة لمشاعره . فعندما فكر خالد فى العودة ، بينما هشام يصر على البقاء فى هذا المكان المعزول بحثا عن الأحجار وانتظارا لوصول أوساكا وأوسيم ، يقول له خالد : " إن هذه الأحجار الملعونة قد لعبت برأسك " (زيارة فى الفضاء ص ٥) ، من المعروف أن الصورة البيانية تكون أكثر إثارة وتأثيرا فى المتلقي كلما كانت أكثر طرافة بتباعد أطرافها ، وغرابتها ، التى لا تتجاوز الممكن عقلا ، من هنا كانت علاقات هذه الصورة بين "الأحجار واللعنة ، واللعب بالرأس " ، لتأكيد فكرة الاستثارة والدهشة والاستيلاء عليه ، وفى الوقت نفسه تتناول القضية المتمثلة فى اهتمام خالد وهشام بالبحث عن الأحجار الغريبة التى يمكن أن تكون ذات قيمة

علمية ، بالإضافة إلى اهتمامها بالفضاء والكواكب الأخرى غير الأرض.

هكذا تحقق الصورة جانب المتعة الوجدانية وإثراء الفكر ، وإشباع الاهتمامات العلمية ، وبذلك تنسجم هذه الصورة مع جو النص كله ، وتحقق تقدما فى العلاقة بين شخصياته ، وبها قد نما الحدث ، منتقلا من مرحلة بدايته إلى مرحلة توسطه ، مؤذنا ببداية الصراع .

بل إن صورة أخرى تأتى بعد هذه الصورة السابقة فى الصفحة نفسها ، وتتصل بها ، من ثم تكشف تصاعد الموقف ، ونمو الحركة الدرامية مما يوضح فاعلية الصورة فى بناء المسرحية ، وذلك عندما يكاشف هشام خالد بأمر اقتراب موعد هبوط أوسيم وأوساكا ، ويحاول أخذ عهد عليه ، ألا يبوح بهذه الأسرار ، ويقسم خالد لهشام على الكتمان ، ويقول له : " لن أتكلم ، والآن أخبرنى .. " أحترق شوقا " .

ونلاحظ فى هذه الجملة الحوارية فاعلية " الزمان " فى تشكيل الحدث وتصاعد الدرامية فيه ، حيث تبدأ

الجملة الحوارية بالنفى المطلق (لن) ويتصل ذلك بالحاضر (الآن) ، لتأكيد صدق العهد والوعد ، ثم (نقطتان متجاورتان) لإثراء تدفق تيار الوعي بما يمكن أن يتصوره المتلقي من صدق الوعد ، والرغبة اللهيفة من جانب خالد فى المعرفة وحب الاستطلاع ، ثم تأتى الصورة " أحترق شوقا " لتمثل قمة انفعال خالد بالموقف ، على أساس عقد علاقة بين المعنوي (الشوق) والمادي (الاحتراق) وهما طرفان متباعدان ، وإن كان يمكن أن يجتمعا عقلا وتصورا ، مما يجعل هذه الصورة تضاعف من إحساس المتلقي الطفل بما لدى خالد من رغبة شديدة فى المعرفة والكشف ، والاتصال بخفايا الموقف ، وكل هذا يدور حول صلة أبناء كوكب آثور بهشام ، أو بمعنى أوضح صلتهم بكوكب الأرض ، ووسائل ذلك الاتصال ، وهى الفكرة العلمية التى تحاول المسرحية نقلها للطفل ، بإعطائه بعض التصورات الخيالية العلمية عن هذه العلاقة ، إلى غير ذلك من مكونات النص التى تحكم معظم الصور ، كما أشرنا سابقا .

وبرغم ما فى الصورتين المشار إليهما من حشد للدهشة والغرابة والطرافة ، لكنهما تتألفان من مفردات يعيشها طفل هذه المرحلة ، بل قد لا تخرج معظمها عن معجمه اللغوي : [الأحجار – اللعنة – اللعب – الرأس – الشوق – الاحتراق] مما يجعل تمثل الطفل للنص وتفاعله معه أمرا ميسرا ، لتحقيق الأهداف المرجوة منه خاصة بالنسبة لمرحلة الطفولة المتأخرة التى تناسبها هذه المسرحية .

تقويم:

وبرغم ما حققته هذه المسرحية من إيجابيات فى مواكبة التقدم العلمى ، لكنها لم تخل من بعض جوانب القصور التى يمكن أن يكون لها مردود سلبي على الطفل .

وإذا كنا نعلم الطفل اللغة من خلال هذه النصوص فيجب أن نحرص على سلامة هذه اللغة ، وألا تكون الرغبة فى التيسير والتسهيل والتبسيط وسيلة للتجاوز والخطأ ، كما حدث فى عدم التطابق أحيانا بين أركان

الجمل ، أو استخدام المكملات استخدما لا يزاعى هـــذا التطابق من حيث الإفراد والتثنية والجمع .

مثل : : وما الذي جاءوا ليفعلوه علـــى الأرض ؟ ص ٨ مع أنه يتحدث عن مثنى هما أوساكا وأوســيم ، فالصواب .. وما الذي جاءا ليفعـــلاه علـــى الأرض ؟ أوماذا سيفعلان على الأرض ؟ .

-وكذلك أوساكا وأوسيم يلبسان بـــدلا فضائيـــة .. ص٩ والصواب .. يلبسان بدلتين فضائيتين .

-وكذلك هل أنت متأكد أنهما لن يصيبونا بـــأذى ؟ ص ٩والصواب يصيبانا .. وربمـــا أراد النـــص هنـــا بالجمع أهل كوكب آثور .

وقد تدفع الرغبة فى التيسير إلى تسطيح العبارة أو الاستعانة بتراكيب وصور ليست من اللغة الفصيحة مثل [تكلم والسر فى بير] ص ٥ ، فالأفضل والسر خفى أو هو فى غاية الحفظ والصون ، أو تستخدم أدوات نفـــى قاطعة فى هذا المجال مثـــل [لـــن أبـــوح بالســـر] .. وهكـــذا ، أما " السر فى بير " فبرغم ما قد يكون فيـــها

من سلامة نحوية ، لكنها أقرب إلى الاستخدام العامي لا الفصيح ، على مستوى الصورة والتركيب ، بالإضافة إلى ما فى (بير) من تخفيف للهمزة لا مسوغ له إلا الخضوع للاستخدام العامي للعبارة .

الطباعة ومستوى الإخراج الفني :

يجب أن يولى القائمون على أمر طباعة كتب الأطفال اهتماما كبيرا لمستوى الإخراج الفني لهذه الكتب من حيث الحروف وحجمها ، والألوان المستخدمة وطبيعة الصور المزودة بها هذه الكتب ، وطريقة العرض لهذه الوسائل المعينة ، وتشكيل الغلاف ، ونوعية الورق المصنوع منه هذا الغلاف وبقية الكتاب .

فشكل الحروف وحجمها يجب أن يكون ملائما للأطفال يريح النظر ، فلا يكون هناك ميل كبير للخط يعوق الرؤية ، كما أنه يجب أن يتمايز حجم هذه الحروف حسب المرحلة السنية ، فمرحلة الطفولة المبكرة يناسبها أن تكون مساحة الصور أكثر من مساحة الكلمات ، فى الصفحة الواحدة ، وأن تكون هذه

الكلمات ذات بنط عريض ، وحبذا لو روعى فى الصور أن تكون بسيطة سهلة تتناول الشخصية كاملة ، بمفردها مثلا ، بقدر الإمكان ، لأن تعدد الشخصيات فى الصورة قد لا يسمح لأطفال المرحلة المتقدمة بحسن الاستيعاب . هذا بالإضافة إلى وجوب أن تكون الصلة بين الصورة والكلمة قوية حتى يتآزرا فى الكشف والإبانة عن الفكرة ، وتحقيق الهدف منهما ، خاصة وتصوير الأفكار يعين الأطفال على استعادة صنع ما اختزنوه من صور ، وبعض كتب الأطفال المصورة تقود لموضوعات الفن وتفسيراتها (١٩ : ١٦٩ ، ١٧٠) ، والألوان يجب أن تكون متآلفة ومما يريح النظر ويجذب الانتباه فى الوقت نفسه .

بل هناك من الكتب ما يشكل منظرا مفيدا ممتعا جذابا عند فتحه ، مع كلمات قلائل ، وقد يرتبط بإصدار بعض أصوات الحيوانات التى قد يكون الهدف من الكتاب التعريف بها مثلا ، أما غلاف مثل هذه الكتب فيجب أن يتحمل استخدامات الطفل من حيث نوعية الورق ، وأن يتولى إعداده وإخراجه فنيون

متخصصون ، حتى يلفتوا انتباه الأطفال إلى مثل هـــذه الكتب بألوانها ورسومها وصورها وخطوطـــها ، ومـــع تعدد مراحل الطفولة من مبكرة إلى متوسطة إلى متأخرة تتباين مستويات هذه الكتب من حيث الطباعة والمستوى الفنى.

وبالنسبة لمسرحية " زيارة من الفضاء " ، فرغـــم أنها كتبت لتمثل ، لكن قراءتها واردة والاهتمام بها على هذا الأساس أيضا يجب أن يراعى ، فهى ككتاب بحاجـة إلى مزيد عناية بطريقة كتابتها ، حيـــث إن الصفحـــات مزدحمة بالكلمات ، وهى بحاجة إلى مزيد من التنســـيق فى العرض والتقديم ، ومصاحبة الصـــــور كوسيـــلة إيضاح ، بحيث يراعى فى الصور الكشف ، ومـــؤازرة الفكرة ، وحسن التنسيق وألا تزدحم الصفحات بالكلمات بما يتلاءم ومرحلة الطفولة المتأخرة التى تناسبها هـــذه المسرحية .

حقا هى مسرحية ، والمخرج المتخصص سـيتكفل بالمهام الفنية للإخراج المسرحى ، لكنها فى الوقت نفسه

لابد أن تكون مهيأة ليقرأها الطفل ، لتحقق مزيدا من الفائدة على مستوى القراءة أو التمثيل .

وهكذا يمكن أن تحقق المسرحية مقروءة وممثلة كثيرا من أهدافها فى تنمية الطفل وترقيته ، وتحقيق النمو المعرفي ، والكفاءة اللغوية ، والمتعة الوجدانية ، ليتهيأ الطفل لممارسة حياته المرجوة فى مستقبل سعيد له وبه فى عصر التقدم التكنولوجي .

أهم المصادر والمراجع :

أولا : باللغة العربية :

١- القرآن الكريم [سورة آل عمران آية ١١٠] .

٢- أدب الأطفال :د. أحمد حسن حنورة مكتبة الفلاح - الكويت سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

٣- اتصالات الفضاء : حمدى قنديل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٥م

٤- أسس علم النفس : د. نعمة عبد الكريم أحمد دار الفكر الجامعي الإسكندرية سنة ١٩٩٢م.

٥- التربية اللغوية للطفل : سرجيوسبيني ترجمة فوزى عيسى وعبد الفتاح حسن مراجعة د. كاميليا عبد الفتاح دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٩١م.

٦- تطور الطفل عند بياجيه : د. غسان يعقوب دار الكتاب اللبنانى بيروت سنة ١٩٨٢م.

٧- التطور المعرفى عند جان بياجيه : موريس شربل ط٢ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٨- التعبير الدرامى : د. سعد أبو الرضا ط٣ المجموعة المتحدة القاهرة سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م

٩- سيكولوجية التذوق الفنى : د. مصري عبد الحميد حنورة - منشورات جماعة علم النفس التكاملي بإشراف د. يوسف مراد دار المعارف القاهرة ب. ت .

١٠- الطفل وعالمه الأدبى : د. عبد الرءوف أبو السعد ط١ دار المعارف القاهرة سنة ١٩٩٤م.

١١-علم نفس النمو : د. حامد زهران نشر عالم الكتب القاهرة ط٦ سنة ١٩٨٦م.

١٢- القاضي جحا : المسرح الشعري للأطفال :أحمد سويلم مؤسسة الخليج العربي القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

١٣-مسرحيات الأدب العالمي للأطفال " الفطائر الخمس " ، " الرنين والدخان " : أحمد المغربي وعصلم إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٩١م.

١٤-مسرح الطفل : " حكاية لم تنته بعد " ، " حرب لا تنتهي " حازم شحاته منشورات الغالي ، المكتب العربي للمعارف القاهرة سنة ١٩٩٣م . علما بأن هذه المسرحيات بحاجة إلى إعادة النظر فى تشكيلها لتقويمها

١٥- النص الأدبي للأطفال أهدافه ، ومصادره ، وسماته : د. سعد أبو الرضا نشر رابطة الأدب الإسلامي العالمية ط. دار البشير عمان الأردن سنة ١٩٩٣ م.

١٦- النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر القاهرة ب. ت.

(17) Satyan J.L. The elements of drama Cambridge – University press reperented 1976 P. 28-29 .

(18) Margarit R Marshal an introduction to the world at childrens books 2nd edition P. 60 .

(19) Mary Ann Powlin creative uses of children's literature with aforward by marilyn miller printed in the United States of America P. 169-170 .